

- كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم علم الاجتماع

ورقة بحثية بعنوان:

المفكر السوسيولوجي مالك بن نبي وكتابه "ميلاد مجتمع"

تحت إشراف الأستاذ: نابتي علي

إعداد الطالب: جبار حسين.

### ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى تقديم قراءة سوسيولوجية معمقة لأطروحة المفكر الجزائري مالك بن نبي في كتابه "ميلاد مجتمع". ينطلق البحث من إشكالية تحول الجماعات البشرية من حالة الركود (الكومة) إلى حالة الفعل التاريخي (المجتمع). وبالاعتماد على المنهج التحليلي، يستعرض البحث مفاهيم شبكة العلاقات الاجتماعية، ومعادلة الحضارة، ونظرية القابلية للاستعمار. تخلص الدراسة إلى أن بن نبي قدم نموذجاً سوسيولوجياً متكاملًا يربط بين البناء النفسي للفرد والتماسك البنيوي للمجتمع، معتبراً أن الأفكار هي المحرك الأساسي لأي إقلاع حضاري.

### المقدمة

يُعد مالك بن نبي (1905-1973) من القلائل الذين استطاعوا تطوير أدوات علم الاجتماع الحديث لفهم أزمت المجتمعات العربية والإسلامية. في مؤلفه المفصلي "ميلاد مجتمع"، لا يكتفي بن نبي بوصف الظواهر الاجتماعية، بل يسعى لاكتشاف القوانين الكلية التي تحكم حركة التاريخ. تكمن أهمية هذا البحث في كونه يحل المجتمع كـ "وظيفة" و"ديناميكية" قائمة على الروابط البينية. وتبرز مشكلة البحث في التساؤل عن الكيفية التي يمكن بها إعادة بناء المجتمع وفق "هندسة اجتماعية" تعيد ترميم الإنسان وشبكة علاقاته.

### المبحث الأول: الإطار المفاهيمي (التمييز بين الكومة والمجتمع)

أولاً: مفهوم "الكومة" (التراكم المادي الساكن): تمثل "الكومة" الحالة البدائية أو حالة الانحطاط للجماعة البشرية. هي تجمع للأفراد يفتقر إلى "المبدأ المنظم"، حيث يكون الأفراد مجرد ذرات متجاورة مكانياً لكنها معزولة شعورياً ووظيفياً. تتميز بكونها تجمعاً "كمياً" لا "نوعياً"، تسيطر فيه "الأنا" والغرائز البدائية. يشبهها بن نبي بكومة الرمل التي تفتقر للملاط (الرابط الداخلي)، مما يجعلها تنهار عند أول أزمة.

ثانياً: مفهوم "المجتمع" (الكيان العضوي الفاعل): المجتمع هو حالة "ميلاد" وبداية الدخول في التاريخ. هو "بشر + روابط"، والكيان الذي نجح في صهر طاقات أفرادهِ وتحويلها من طاقات فردية مبعثرة إلى قدرة جماعية منظمة. يمتلك المجتمع "شبكة علاقات اجتماعية" تجعل الأفراد أجزاء مكملة لبعضها البعض.

ثالثاً: نقطة التحول (دور الفكرة الدينية): يتحول الأفراد من كومة إلى مجتمع عبر "المركب الروحي" أو "الفكرة الدينية" كطاقة محرّكة سوسيولوجية. الفكرة هي التي تنسج شبكة العلاقات، وبمجرد أن يؤمن الأفراد بفكرة مشتركة، تنشأ بينهم روابط ثقة وتضامن، وهنا "يولد" المجتمع.

### المبحث الثاني: معادلة الحضارة (العناصر الجوهرية لبناء المجتمع)

يرى بن نبي أن المجتمع لا يولد من فراغ، بل من تفاعل كيميائي بين ثلاثة عناصر أولية يصهرها "المركب الثقافي":

### 1. عنصر الإنسان

يعتبر بن نبي الإنسان هو "المتغير التابع والمستقل" والمحرك الأساسي للدورة الحضارية. من "الفرد" إلى "الشخص": الفرد هو الإنسان الخام المحكوم بالغرائز (عنصر الكومة)، أما "الشخص" فهو الذي تخلص من أنانيته واندمج في شبكة العلاقات الاجتماعية. **توجيه الطاقة:** يكمن الخلل في المجتمعات المتخلفة في عدم توجيه طاقة الإنسان (توجيه الثقافة، العمل، ورأس المال).

**القابلية للاستعمار:** يربط بن نبي بين الوضع النفسي والسياسي؛ فالإنسان المريض الذي يفقد الثقة في أفكاره يصبح "قابلاً للاستعمار".

### 2. عنصر التراب (المجال الحيوي)

التراب ليس مجرد مساحة جغرافية، بل هو "المستقر" الذي تمارس فيه الحضارة نشاطها. تكمن قيمته في "كيفية نظر المجتمع إليه"؛ فالمجتمع "المولود" هو الذي يحول التراب من مادة خاملة إلى "أداة إنتاج" ووطن.

### 3. عنصر الوقت (المادة الخام للحضارة)

الوقت هو الرأسمال الموزع بالتساوي على البشر، لكنهم يتفاوتون في استثماره. يفرق بن نبي بين "الزمن الكرونولوجي" و"الزمن الاجتماعي" المقاس بالإنجاز. الحضارة هي نتاج وقت تم استغلاله بواسطة إنسان موجه فوق تراب معين.

### المبحث الثالث: سوسيولوجيا العلاقات الاجتماعية والعوامل الثلاثة

شبكة العلاقات: هي الإسهام الأبرز لبن نبي؛ حيث يقاس المجتمع بمتانة روابطه لا بعدد أفراده. يشبه المجتمع بالشبكة الكهربائية، حيث الروابط هي الأسلاك التي تضمن الإضاءة الحضارية.

**العوامل الثلاثة:** يصنف بن نبي محتويات الوعي إلى:

عالم الأفكار: العالم القائد والموجه.

عالم الأشخاص: العالم المنفذ والمجسد.

عالم الأشياء: الناتج المادي والوسائل.

أزمة التخلف: تكمن في طغيان "عالم الأشياء" (الاستهلاك) على "عالم الأفكار"، مما يحول المجتمع إلى "مقلد" لا "مبدع".

### الخاتمة والاستنتاج

تخلص الدراسة إلى أن ميلاد أي مجتمع يتطلب صياغة "فكرة محرّكة" تعيد وصل شبكة العلاقات، والانتقال من ثقافة "التكديس" إلى ثقافة "البناء"، واستعادة القيمة الاجتماعية للوقت. يظل كتاب "ميلاد مجتمع" ضرورة إجرائية لأي مجتمع يسعى لدخول التاريخ عبر إعادة بناء الإنسان وترميم روابطه الاجتماعية.

المراجع

بن نبي، م. (2006). ميلاد مجتمع. (ط. 3). دمشق: دار الفكر.

ضيف الله، ب. (2005). فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي. الجزائر: دار الأمة.  
لعمراوي، ز. (2019). فكر مالك بن نبي: قراءة سوسيو-مفاهيمية في كتاب ميلاد مجتمع. مجلة البحوث  
والدراسات الإنسانية، جامعة أم البواقي، 9(19).